هنا البطل المغوار والمقاتل الجسور لم تفتر عزيمتُه ولم يفر من الحرب . بل بقي يضارب ويجالد بكفاءة عالية ومقدرة فائقة الى ان وقع شهيداً وأمسى من أهل الجنة الذين « يلبسون ثياباً خضراً من سُنْدُس واستبرق »(١٠٠)

وللشعراء العباسيين شعر شجيٌ مؤثر في أبنائهم واخوانهم وزوجاتهم وأقربائهم . فمن الذين بَكوا أبناءهم بشار بن برد . إذ فُجع بموت ابنه الصغير محمد الذي كان كالغصن اليانع يتأمل فيه الخير والعون في حياته(١٠١) .

حياتها . ومراثيها بعد . مماتها . وما رأيتُ ذكياً ولا عاقلاً ولا كاتباً ظريفاً إلاّ وهو يتمثل من شعر النميري بشيء»(٣٥) وللأصدقاء نصيب طيب من الرثاء. يفيض بالوفاء . ومن بديع ماقيل في هذا اللون قصيدة لابي العتاهية في رثاء صديق له يدعى علياً .(٣٦)

أخٌ . طالما سرّني ذكرُهُ فقد صرتُ أشجى لدى فكرهِ
وقد كنتُ أغدو الى قصره فقد صرتُ أغدو الى قبرهِ
وبَدّلَ بالبُسطِ فرْشَ الثرى وريحَ ثرَى الأرضِ من عطرهِ
أخو سَفرٍ مالهُ أوْبَةٌ غريبٌ . وإنْ كانَ في مصرهِ

ومن الضروب الجديدة في فنِ الرثاءِ في العصر العباسي بكاء المدن التي أصابها الدمار والخراب . وذهب سكانُها الأبرياء ضحايا . ومن أجود ماقيل في هذا اللون قصائد ومقطوعات عمرو بن عبدالملك الوراق العنزي(٣٧) وقصيدة أبي يعقوب اسحاق بن حسان الخريمي في رثاء بغداد بعد الفتنة بين الأمين والمأمون . وقصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة بعد ثورة الزنج . ان قصيدة الخريمي التي تصور كارثة بغداد بلغت ١٣٥ بيتاً . وهي سجلٌ حافلٌ لحادثة داميةٍ مروعةٍ . منها قوله(٣٨) .

فإنّها أصبحتْ خلايا مِن الـ انسانِ قد أدميتْ محاجرها
قفراً خلاءً تعوي الكلابُ بها يُنكرُ منها الرسومَ زائرُها
وأصبخ البؤسُ ما يفارقُها إلفاً لها والسُرورُ هاجرُها

أما ابن الرومي فإنه صوّرَ مأساة البصرة في قصيدة تجاوزت ثمانين بيتا(٣٩) . وهي أيضاً سجل لفاجعة كبيرة حلّت بهذه المدينة العريقة وسنذكرها في ترجمته .

ومن الألوان الجديدة التي ظهرت في العصر العباسي مراثي الطيور الصادحة والحيوانات الأليفة التي اقتناها الناس آنذاك واعتنوا بتربيتها في بيوتهم أو في

الغزل :

الغزل من الفنون الشعرية الجميلة المحببة الى النفس . يُصوّر أشـــواق المحبيـــن ولواعجهم.وهو شبيه بالنسيب والتشبيب من غير كثير تمييز أو عظيم اختلاف .ومن يتصفّح ديوان الغزل العربي يجده كبيراً وواسعاً . تغنّى الشعراء من خلاله بالمرأة منذ عصر ماقبل الاسلام . وقد جعله فريقٌ منهم استهلالاً لمدائحهم وأهاجيهم وحماسياتهم .وخصّص له فريقٌ آخر قصائد ومقطوعات .

«إنه شاعر مليح الشعر. قد جعل وكدَهُ في مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أكثرَ شعره في ذلك»(٣٢). وأورد له الصولي قصائد كثيرة في هذا الغرض. منها قصيدة طويلة في رثاء قُمري أوّلها(٣٣):

هل لامرئٍ من أمانِ ... من ريبِ هذا الزّمانِ

ومنها:

فالقلبُ فيه كلومٌ ... من لاعجِ الأحزانِ
وفي الحشا لاذعاتٌ ... كمشعلِ النيرانِ
والمقلتانِ سجومٌ ... دمعاهما تكفانِ
كانَ المطوّقُ أنساً ... للأهلِ والجيرانِ

ولابن العلاف قصيدة مشهورة متداولة في رثاء هرّ تناقلتها كتبُ الأدب والتاريخ(٣٤). وهي من روائع الشعر في هذا الغرض. مطلعها(٣٥):

ياهرُّ فارقتنا ولم تَبعُدِ ... وكنتَ منّا بمنزلِ الولدِ
وكيفَ تنفكُّ عن هواكَ وقد ... كنتَ لنا عُدّةً من العُدَدِ

شعراء بني العباس ، وإنما جاء فاتراً قلما يترك في النفس أثراً قوياً . لأن الفن الذي أراد أنْ يختصّ به كان قد انقضى عصره . وانتهتْ الأسباب التي أوجدته ومكّنت الناس من اتقانه والاجادة فيه »(١٢٨). وتابعه في هذا الرأي الدكتور عزالدين اسماعيل فقال ، « ومهما يكن من أمر ، فان هذا الشاعر العباسي قد انقطع للغزل . شأنه شأن العذريين وشأن عمر بن أبي ربيعة . وأن نَفَسَهُ الشعري كان أقرب اليهم . وان كنّا ـ فيما طالعنا له من شعر ـ لانجد فيه حرارةَ العُذريين وصِدقهم . ولا خفْة ظل عمر بن أبي ربيعة . بنفس الدرجة »(١٢٩) .

كان العباس بن الأحنف مخلصاً في رسم صوره الجميلة للحب العفيف . وحسبك ما قالته الدكتورة عاتكة الخزرجي ، « ولستُ أكاتمك الحقيقة من أنّي مؤمنةٌ كلّ الايمانِ بأن الشاعر يملي علينا من تجربةٍ حقيقةٍ عاشها . ولعلّ أروعَ لوحة عرض لنا العباس فيها حكاية هواه المعذب تلك التي يحلو له أن يعرضها علينا بين الحين والحين لنراه فيها الظمآن القريب من النبع المحروم من الورْد »(١٣٠). ومن جميل شعره مناجاته للقطا التي وجدت صداها في كل أذن ووقعها في كل قلب :(١٣١)

بكيتُ إلى سربِ القَطا حينَ مرّ بي فقلتُ ومثلي بالبكاءِ جدير ،
أسربَ القطا هل من مُعيرِ جناحَهُ لعلّي إلى مَنْ قد هويتُ أطيرُ

إنّ روحه معلقةٌ بفوز . لايحيدُ عنها . فهي الوحيدة التي ملكت فؤادَهُ دون الفتيات :(١٣٢)

ماأسمحَ الناسَ في عيني وأقبحَهم اذا نظرتُ فلم أبصرْكِ في الناسِ
حتى متى كبدي حرى مُعَطْشَةٌ ولا يلينُ لشيء قلبُكِ القاسي

ويلاحظ أنه بالغ في البيت الاول. وهذا من طبائع المحبين وأساليبهم حين يصفون جمال المحبوبة ومفاتنها . وهاهو ذا يقول :(١٣٣)

الوصف :

الشعراءُ فنّانون مبدعونَ يرسمونَ بالكلمات مايرون . ويُصوّرون مايشاهدونَ . ويصفونَ مايحبون به ، ومن هنا كثر نتاجهم الشعريُّ في غرض الوصف . حتى قال ابن رشيق : « الشعر إلاّ أقلّه راجعٌ الى باب الوصف . ولاسبيل الى حصره واستقصائه »(٣٨) . وقد خصّه الدارسونَ القدامى والمحدثونَ بعنايتهم ورعايتهم . وأفردوا له أبواباً في مؤلفاتهم واختياراتهم .

إنّ الشعر العربي زاخرٌ بأوصاف كثيرة منتزعة من البيئة ابتداءً من عصر ما قبل الاسلام . وقد أعطتنا دولة بني العباس ألواناً مختلفة من هذهالاوصاف.منهاقديمة امتدتْ اليها يدُ الحضارة بالتهذيب والتطوير . ومنها مبتكرة أوجدتها المدنية الجديدة التي تضافرتْ أمم كثيرة وأجناس مختلفة على خلقها . فإذا وصف ـ مثلاً ـ الشاعر الجاهلي رحلةً في مضارب الصحراء . فإنّ بشار بن برد وصف في قصيدة رحلة الخليفة الهادي من البصرة الى بغداد في نهر الفرات(٣٩) . وتناول أبو نواس نزهةً للخليفة الأمين في سفينة جميلة الصنع تمخرُ عُبابَ الماء في نهر دجلة(٤٠) :

إنَّ قلبي قد تصابى بعدما كان انابا
ورماة الحب منه بسهام فأصابا
قد دهاه شادنٌ يلـ بسُ في الجيد بخابا(١٥٥)
فهو بدرٌ في نقاب فاذا القى النقابا
قلتُ شمسٌ يومَ ذجنٍ خرتِ عنها السحابا

وثمة شعراء اخرون نظموا مثل هذا الشعر. منهم اسماعيل بن عمار الاسدي(١٥٦). والمؤمل بن اميل المحاربي(١٥٧). وبشار بن برد(١٥٨). وعمرو الخاركي(١٥٩). والفضل بن عبدالصمد الرقاشي(١٦٠). وابن الخياط(١٦١)...

ولم يقف بعض الشعراء في غزلهم عند المرأة. بل تجاوزوها الى الغلمان والغلاميات (وهنّ فتيات في زيّ غلمان) وكلاهما بدعةٌ خطيرة. وانحراف مقرف. وخلقٌ شائن. ان الغزل بالمذكر تسرب الى المجتمع العباسي من الفرس كما يرى يوسف حسين بكار في قوله. « ان العامل الاساس في ظهور الميل الى الغلمان هم الفرس الذين نقلوها الى العرب. وساعد عليها عوامل اخرى ادّت في مجموعها الى ظهور الغزل بالمذكر كأيّ فنٍ من فنون الشعر الاخرى(١٦٢). ويخالفه في الرأي محمد النويهي. فيرى الخطأ والظلم معاً في أن يُعزى هذا الانحلال الخلقيّ الى أمةٍ واحدةٍ هي الفرس وإنما يعزوه الى كل الأمم التي جمعتها الحضارة الاسلامية. لأنّ الانحطاط إنما نشأ عن اختلاط هذه الأجناس بأديانها المختلفة وعاداتها ومقاييسها ونظمها المتباينة.(١٦٣)

تَمَّتْ وتمَّ الحسنُ في وجهها فكلُّ حُسْنٍ ما خَلاها مُحالْ
للناسِ في الشَّهرِ هلالٌ ولي في وجهها كلَّ صباحٍ هِلالْ

ومن الشعراء الذين عرفوا بالغزل العفيف عُكّاشة بن عبد الصمد البصري الذي أحبَّ فتاةً تُدعى « نُعيم » . وهي جارية لبعض الهاشميين . وشاءت الصدفُ أنَّ شخصاً اشتراها من مولاتها ورحل بها الى بغداد . فعظم أسفُه وحزنُه عليها . واستُهيم بها طول عمره . فاستحالتْ صورتُه وطبعُه وخلقُه الى أن فرَّق الدهر بينهما . فكان اكثر وكده وشغله أن يقول فيها الشعر وينوح به عليها ويبكي(٣٤) » . وقد وصل به الحال الى التمني في الموت ليستريح من الهموم والاحزان التي اتعبته وهدّته(٣٥) .

نُعيم هل بكيتِ كما بكيت وهل بَعْدي وفيتِ كما وفيتُ ؟
ألا يا ليتَ شعري كيف بَعدي أصـ طبارُكِ اذ نأيتِ واذ نأيتُ ؟
فكم مِن عَبْرة ذَرَفَتْ فلما خشيتُ عيون أهلي واستحيتُ
نهضت بها مكاتمةً فلما خلوتُ ذرفتُها حتى اشتفيتُ
وقلتُ لصحبي لما رماني هواكِ بدائهِ حتى انطويتُ
أراني من هموم النفس مَيْتاً ولم أرَ في نُعيم ما نَوَيتُ
فليتَ الموتَ عجَّلَ قبضَ روحي جهاراً فاسترحتُ وأين ليتُ ؟ !

ومن شعراء الكوفة القلائل في نظم الشعر العفيف عليُّ بن أذيم الجُعفي . فقد تغزَّلَ بفتاة اسمها « مَنْهلة » . وهام بها . وشاع أمرهما بين الناس . حتى وضع أحدهم كتاباً فيهما بعنوان « على بن أذيم ومنهلة(٣٦) » . وقد أشار أبو الفرج الأصبهاني إلى خبرهما فقال : « كان بالكوفة رجلٌ من بني أسد يُقالُ له عليُّ بنُ أذيم . فهوِيَ جارية لبعض نساء بني عبس . فباعتها لرجلٍ من بني هاشم . فخرج بها عن الكوفة . فمات علي بن أذيم جزعاً عليها بعد ثلاثة أيام من خروجها . وبلغها خبرُه فماتت بعدهُ . فعمل أهل الكوفة لهما أخباراً هي مشهورة عندهم... وقالوا : آخر من مات من العشق عليُّ بن أذيم الجُعفي(٣٧) . ومن شعره قوله .(٣٨)

وسرب من الغزلان يرتعن حولَهُ كما انـلُ منظومٌ من الدُّرّ من سلكِ
وورقاء تحكي الموصليّ اذا شدتْ بتغريدها أحببتْ بها وبمَنْ تحكي !
فيا طيب ذاك القصر قصراً ونزهةً بأفيح سهلٍ غير وعرٍ ولا ضنْكِ

وكان للثمار الموجودة في الحدائق والبساتين نصيبٌ من شعر الوصف. ومن طريف ماجاء في وصف التفّاح قول بشار بن بُرد(٣٣) :

وتفاحةٍ من خالصِ التِّبرِ نصفُها ومن جُلّنارٍ نصفُها وشقائقِ
كأنّ الهوى قد ردّ بعد تفرُّقٍ لها خدّ معشوقٍ الى خدّ عاشقِ

ومن بديع وصف العنبِ الرازقيّ قول ابن الرومي(٣٤) :

كأنّ الرّازقيّ وقد تناهى وباهتْ بالعناقيدِ الكرومُ
قواريرٌ بماء الورد ملأى تَشِفُّ ولؤلؤٌ . فيها يعومُ

وتحبُبُهُ من الشّهدِ المصفّى اذا اختلفتْ عليك الطّعومُ
فكلُّ مُجْمعٍ منه ثريّا وكلُّ مُفرّقٍ منه نجومُ

وكانت قصور الخلفاء والأسر الغنية حافلةً . الى جانب الطعوم اللذيذة والفواكه الشهية . بوسائل اللهو واللعب التي كانوا يقضون بها أوقات فراغهم . من ذلك لعبة الشطرنج . وقد أحسن المأمون في وصفها وتشبيهها بمعركة حربية حامية بين عسكرين(٣٥) :

أرضٌ مربعةٌ حمراءُ من أدمٍ ما بين إلفين معروفين بالكرمِ
تذاكرا الحرب فاحتالا لها جيلا من غير أنْ يأثما فيها بسفكِ دمِ
هذا يغيرُ على هذا . وذاك على هذا يغيرُ . وعينُ الحزم لم تنمِ
فانظرْ إلى فطنٍ جالتْ بمعركةٍ في عسكرين بلا طبلٍ ولا علمِ

ومن وسائل اللهو التي أخذتْ جانباً كبيراً من شعر الوصف خارج الدور والقصور . الصيد والطرد . وكان الخليفة المهدي من أشهر الخلفاء عناية بالصقور والبزاة وكلاب الصيد . ومن طريف مايروى عنه أنه خرج مع ابن عم أبيه عليّ بن